بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فقه اللغة وسرّ العربية

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم ولم يجعل له عِوَجاً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الناس قاطبة، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. . .

فقد خصّ الله سبحانه وتعالى اللغة العربية بعظيم الشأن، حينما أنزل بها الفرقان على قلب محمد ﷺ، ويبدو أنه من حكمة الله عز وجل ذلك أن كانت اللغة العربية عالية في مكانتها، سَامقَةً في بيانها، راقية في معانيها، حتى كانت لغة البيان في أمة يخلبُ لُبَّها البيان، فطارت شهرتها في الآفاق مع انتشار الدعوة الإسلامية، وراح يتحدث بها الأعجمي والعربي على حدٍّ سواء.

ومن فضائل الله جل شأنه في هذا أنْ كان القرآن الكريم، هو المفتاح في العلوم كافة، فيمّم شطرك أنّى شئت تَجِدْ أنّ القرآن العظيم هو الأسّ في نشأته، فترى العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، وكلها نابع من اهتمام المسلمين بقرآنهم العظيم.

وعلم العربية أحد هذه العلوم التي نشأت في أحضان كتاب الله العزيز، ولا يخفى علينا أن السبب في ذلك هو خوف العرب المسلمين على قرآنهم ولغتهم من أن يتسرب إليها اللحن الذي بدأ يتفشى بعد عصور الاحتجاج إثر دخول العجم في الدين الإسلامي، وانتقال الحياة من حياة بداوة إلى حياة حضر يعمّها الرخاء والنعيم، مما أورث اللغة شيئاً من اللطافة بحيث بُدِيءَ بالتساهل في اللحن فيها، مما حدا بالغيورين على العربية من التفكير فيها وفي نظامها البديع، فكان علم النحو

وكان علم اللغة أو ما يسمى فقه اللغة باعتبار أن اللغة كانت فقهاً أسوةً بالعلوم الدينية آنذاك.

والتصنيف طال العلوم شتى ولا سيما علوم العربية بوصفها قريبة من كتاب الله عز وجل، ومن الطبيعي أن يكون لفقه اللغة حَظٌّ من هذا بل إن له حَظّاً جيداً لا يمكن إغفاله لعلاقته المباشرة باللغة.

ونحن إذ تعرضنا لذلك فإننا بصدد تقديم كتاب من كتب القدماء الأفذاذ الذين سهروا الليالي حتى قضت مضاجعهم وهم ينافحون عن العربية ضيمها.

وهذا الكتاب هو كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي رحمه الله تعالى، ونبدأ هذه المقدمة بشيء من تاريخ هذا المؤلف الجليل وحياته ومؤلفاته وكتابه هذا.

سطور في الثعالبي:

أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، النيسابوري، والثعالبي لقبه؛ لصنعته التي كان يعمل بها، وهي خياطة جلود الثعالب.

عاش أبو منصور الثعالبي بنيسابور، وأدّب الصبيان في كُتّابها وكان ذا حفظ كثير، حتى إنه لا تقع عينه على شيء إلا التهمته أفكاره وسريرته بالحفظ، فعرف بحافظ نيسابور. وهذا أسند إليه حجيته في كل ما يرويه، وثقة الغير به فيما ينقل وتمكنه مما ينقل، ونجد في ذلك أن الطلاب قد قصدوه من كلّ حدَبٍ وصَوْب.

ولعل من أهم ما يدلّل على علو كَعْب الثعالبي، وارتفاع شأوه بين علماء عصره، ما قيل فيه من بعد.

فالباخرزي صاحب دمية القصر قال فيه: «هو جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور، لم تر العيون مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله».

وقال الحصري القيرواني فيه ـ وذلك في زهر الآداب ـ: «وهو فريد دهره، وقريع عصره، ونسيج وحده، وله مصنفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى

الرتب».

أما ابن الأنباري فقال فيه في كتابه نزهة الألباء... فإنه كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً».

وهناك من مدحه بشعر وأطرى عليه بنظم، كما فعل ابن قلاقس حين ذكر كتابه المشهور اليتيمة:

كتب القريض لآلىء نظمت على جيد الوجود
فضل اليتيمة بينها فضل اليتيمة في العقود

وفيه قال البستي:

قلبي رهين بنيسابور عند أخ ما مثله حين تستقري البلادَ أخ
له صحائف أخلاق مهذّبة من الحجا والعلا والظرف تُنْتَسَخُ

هذا نزرٌ مما قيل في الثعالبي، بيد أنه لا يأخذنا الحديث، فننسى أن كاتبنا هذا ولد سنة ٣٥٠ للهجرة بالاتفاق فيما نقلت مصنفات التراجم، وأنه توفي ٤٣٠ هـ أي أنه ناهز الثمانين من العمر، أما مؤلفاته، فنقل الكثيرون أنها ربت على الثمانين مؤلفاً، وكلّها مما هو ثمين بحيث لو أمضى الغير ضعف عمر الثعالبي لما أمكنه أن يأتي بمثل ما أتى به الثعالبي.

مؤلفات الثعالبي:

نستطيع أن نقول باطمئنان أن ما سوف نسوقه من أسماء الكتب إنما كان من مؤلفات الثعالبي وفقاً لما ذكره المترجمون له، واليقين هنا إنما يأتي لوفرة الحديث عنه بما يقطع الشك بأن الثعالبي ذو فضل فيمن تَبِعَه من بعده، وهذا بحال يدعونا لأن نجزم بأن كل ما نقل عنه هو له وليس نسبة، وهذا جدول بأسماء الكتب التي أُثِرت عنه:

١ ـ أجناس التجنيس.

٢ ـ أحسن ما سمعت.

٣ ـ الإحسان من بدائع البلغاء.

٤ ـ اللآلىء والدرر.

٥ ـ الأدب مما للناس فيه أرب.

٦ ـ إعجاز الإيجاز.

٧ ـ أخبار ملوك فارس.

٨ ـ الأعداد.

٩ ـ أفراد المعاني.

١٠ ـ الاقتباس.

١١ ـ الأمثال والتشبيهات.

١٢ ـ ألسن الشعراء.

١٣ ـ الأنيس في غزل التجنيس.

١٤ ـ برد الأكباد في الأعداد.

١٥ ـ بهجة المشتاق.

١٦ ـ التجنيس.

١٧ ـ تحفة العذراء.

١٨ ـ التحسين والتقبيح.

١٩ ـ ترجمة الكاتب في آداب الصاحب.

٢٠ ـ التفاحة.

٢١ ـ تفضّل المقتدرين، وتنصّل المعتذرين.

٢٢ ـ التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة.

٢٣ ـ الثلج والمطر.

obeikandl.com

٢٤ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب.

٢٥ ـ جوامع الكلم.

٢٦ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

٢٧ ـ حجّة العقل.

٢٨ ـ حشو اللوزنيج.

٢٩ ـ حَلْي العقد.

٣٠ ـ خاصّ الخاص.

٣١ ـ خصائص الفضائل.

٣٢ ـ الخولة وشاهيات.

٣٣ ـ ديوانه.

٣٤ ـ سجع المنثور.

٣٥ ـ سحر البلاغة وسر البراعة.

٣٦ ـ سحر البيان.

٣٧ ـ سرّ الأدب في مجاري كلام العرب.

٣٨ ـ سر البيان.

٣٩ ـ سر الوزارة.

٤٠ ـ السياسة.

٤١ ـ الشكوى والعقاب مما وقع للخلاف والأصحاب.

٤٢ ـ الشمس.

٤٣ ـ الشوق.

٤٤ ـ صفة الشعر والنثر.

obeikandl.com

٤٥ ـ طبقات الملوك.

٤٦ ـ الظرف من شعر البستي.

٤٧ ـ الطرائف واللطائف.

٤٨ ـ عنوان المعارف.

٤٩ ـ عيون النوادر.

٥٠ ـ غرر البلاغة في الأعلام.

٥١ ـ غرر المضاحك.

٥٢ ـ الغلمان.

٥٣ ـ الفرائد والقلائد.

٥٤ ـ الفصول الفارسية.

٥٥ ـ الفصول في الفضول.

٥٦ ـ فقه اللغة وسر العربية.

٥٧ ـ الكشف والبيان.

٥٨ ـ الكناية والتعريض.

٥٩ ـ كنز الكتاب.

٦٠ ـ لباب الأحاسن.

٦١ ـ لطائف الظرفاء.

٦٢ ـ لطائف المعارف.

٦٣ ـ اللطيف الطيّب.

٦٤ ـ اللمع والفضة.

٦٥ ـ ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة.

obeikandl.com

٦٦ ـ المبهج.

٦٧ ـ مدح الشيء وذمّه.

٦٨ ـ المديح.

٦٩ ـ مرآة المروآتِ.

٧٠ ـ المضافُ والمنسوبُ.

٧١ ـ مفتاح والفصاحة.

٧٢ ـ المقصور والممدود.

٧٣ ـ مكارم الأخلاق.

٧٤ ـ ملح البراعة.

٧٥ ـ الملح والطرف.

٧٦ ـ منادمة الملوك.

٧٧ ـ مَنْ أعوزه المطرب.

٧٨ ـ مَنْ غاب عنه المؤنس.

٧٩ ـ المنتحل.

٨٠ ـ مؤنس الوحيد المحاضرات.

٨١ ـ نثر النظم، وحلّ العقد.

٨٢ ـ نسيم الأنس.

٨٣ ـ نسيم السحر.

٨٤ ـ النهاية في الكناية.

٨٥ ـ النوادر والبوادر.

٨٦ ـ الورد.

obeikandi.com

٨٧ ـ يتيمة الدهر.

٨٨ ـ يتيمة اليتيمة.

٨٩ ـ كتاب اليواقيت.

كتاب فقه اللغة وسر العربية:

هذا الكتاب الجليل ألّفه أبو منصور الثعالبي، وقد أودعه جلّ ما اكتسبه من معرفة وعلوم كان قد تلقاها من أشياخه أو قرأها في مصنفاتهم، ويبدو لنا أن سبب تأليفه للكتاب أنه كان بقصد إهدائه للأمير السيد أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي.

وقد ذكر ذلك في المقدمة حيث قال:

«. . . ويستدعي التأليفات البارعة في تجديدِ ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها مثل الأمير السيد الأوحد، أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي أدام الله بهجته، وحرس مهجته. . .».

وهذا الكتاب على صغر حجمه، إلا أنه حوى بين دَفَّتَيْه النفيس مما قالته العرب وكاد أن يندثر لولا أنه تصدّى لحفظه الثعالبي وغيره.

فنراه تضمّن الكثير مما نَسَتْه العرب أو تناسته، حتى كأنه أضحى معجماً لما تواضعت عليه العرب واصطلحت.

وقد جاء هذا الكتاب في قسمين، القسم الأول وهو فقه اللغة، وتشعب إلى ثلاثين باباً، ضمّنه الثعالبي فرائد هذه اللغة الشريفة، هذا وقد قسّم كل باب إلى فضول، تراوحت في كل باب عدداً معيناً حدّه الأدنى ثلاثة أبواب، وحدّه الأقصى خمسة وستون باباً. في حين جاء القسم الثاني وهو سر العربية، وقد جاء في تسعة وتسعين فصلاً.

ونحن إذ قرأنا هذا الكتاب بقصد إخراجه للقارىء العربي خِلْواً ما أمكن من التصحيف الذي لم تسلم منه طبعات هذا الكتاب من قبل لذا فإننا عمدنا إلى ضبط

النص ما أمكننا الأمر من ذلك ووفق ما يستسيغه العقل العربي.

وقد أخذنا بعين الاعتبار أموراً عديدة نجملها فيما يأتي:

١ ـ توثيق الآيات القرآنية الكريمة وتخريجها من مواضعها في القرآن الكريم.

٢ ـ توثيق الأحاديث الشريفة وتخريجها من مظانها، ويبدو أن ثقافة الثعالبي في هذا الكتاب انحصرت في معظمها في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر.

٣ ـ تخريج الأشعار وذكر أصحاب الأبيات الشعرية والأنصاف من دواوين الشعراء مع ذكر القائلين إذا أغفلها المؤلف.

٤ ـ التعريف بالأعلام بحيث لا يكون في ذلك إطالة فتكون زيادة عبء على النص ومن ثم يكون فيه حشو كثير، ومن جهة أخرى لا يكون هناك تقصير بحيث يُدْرَك شيء من العلم الموثق له والمعرَّف به.

وقد انحصر عملنا هنا على ذكر الاسم الصريح للعلم وسنة ولادته وسنة وفاته ما أمكننا تحديد ذلك ثم ذكر أهم أعمال هذا العلم ومصنفاته.

٥ ـ شرح بعض المفردات الصعبة في النص، وذلك للّتي يكاد يغيب عن ذهن العربي مثل هذه المفردة أو مثل هذا المعنى.

ونحن إذ نقدم هذا العمل، فإننا نرجو أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وخدمة لهذه اللغة الشريفة، وعرفاناً بعلم كبير من أعلامنا الأفذاذ، وكتاباً مهماً من مكتبتنا العربية، فإن أصبنا في ذلك فالجزاء من جنس العمل، وإن لم نصب، فإن الله سبحانه أعجزنا عن إدراك الكمال، الذي خص به ذاته الشريفة، والحمد لله في الأول وفي الآخر.

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

[أَمَّا بَعْدَ حَمدِ الله على آلائه، والصَّلاةِ والسَّلام على **محمَّدٍ** وآله؛ فإنَّ مَن أحبَّ اللَّهَ، أَحبَّ رَسولَهُ **المصطفى** ﷺ. ومَن أَحَبَّ النبيَّ العرَبيَّ، أَحَبَّ العَرَبَ، ومنْ أَحبَّ العَربَ، أَحَبَّ اللغةَ العرَبيَّةَ][1] التي بهَا نزلَ أَفْضَلُ الكُتب، على أَفضلِ العَجم وَالعَرب؛ ومَنْ أَحَبَّ العرَبيةَ عُنيَ بها وَثَابَرَ عليها، وَصرَفَ هِمَّتَه إليها. ومَنْ هدَاهُ الله للإسلام، وشَرَحَ صَدْرَه للإيمان، وَآتاهُ حُسْنَ سَرِيرةٍ فيهِ، اعْتَقَد أَنَّ **محمداً** ﷺ خيرُ الرّسلِ، والإسلامَ خَيرُ المِلَلِ، وَالعربَ خيرُ الأُمَم، والعرَبيةَ خيرُ اللغاتِ وَالأَلْسِنَةِ. وَالإقبالَ على تفهُّمها، مِنَ الديانة؛ إذْ هِيَ أَدَاةُ العِلم، ومفتاحُ التَّفَقُّه في الدينِ، وَسببُ إصلاح المَعَاش وَالمَعَاد. ثم هِيَ لإحراز الفَضائل، وَالاحتواءِ على المرُوءَة وسائرِ أَنواعِ المَنَاقبِ، كالينْبُوعِ لِلْمَاءِ، وَالزَّنْدِ[2] لِلنَّار. ولَوْ لَمْ يَكنْ في الإحاطة بخصائصها[3]، وَالوقوفِ، على مَجارِيهَا ومَصَارفهَا، وَالتَّبَحُّر في جَلاَئلها ودَقائقها، إلاَّ قوَّةُ اليَقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيَادَةُ البَصيرة في إثبات النبوَّةِ التي هي عُمْدَة الإيمان، لكَفَى بهما فَضْلاً يَحْسُنُ أَثَرُه، ويَطيب في الدَّارَيْن ثَمَرُه. فكَيْفَ، وَأَيْسَرُ مَا خصَّهَا الله عَزَّ وجلَّ، مِنْ ضُرُوب الممَادِح مَا يُكِلُّ أَقلامَ الكَتَبَة، ويُتْعِبُ أَنَاملَ الحَسَبَة[4]. ولمَّا شرَّفها

---

(١) في بعض النسخ: «من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية».

(٢) الزند: هو العود الذي يقدح به النار.

(٣) في بعض النسخ: «بحقائقها».

(٤) الحسبة: جمع حاسِب، وهو الذي يقوم بعَدّ المال.

الله عزَّ اسمُهُ وعظَّمهَا، وَرَفعَ خَطَرَها وكَرَّمها، وأَوْحى بها إلى خير خَلْقِه، وجعَلَهَا لسانَ أَمينِهِ[١] على وَحْيِهِ، وأسلوبَ خُلفائهِ في أَرْضِهِ، وأَرَادَ بقاءها ودَوَامها حتى تكونَ في هذه العاجلةِ [لخَيْر][٢] عِباده، وفي تلك الآجِلةِ لسَاكِني [جنانه، و][٣] دارِ ثَوابه، قَيَّضَ[٤] لها حفَظَةً وَخَزَنَةً من [خَواصِّ الناس][٥] وأعيانِ الفضْل، وأَنْجُمِ الأَرض، [فَنَسُوا][٦] في خدمتها الشهواتِ، وجابوا الفَلَوات، ونادَموا لاِقْتَنائها الدفاترَ، وسامَروا القَمَاطرَ[٧] والمحابر، وكَدُّوا في حَصْر لُغاتها طِباعَهم، وأَسْهَروا في تَقْييد شَوارِدِها أَجفانَهُم، وأَجَالوا في نَظْم قَلائدِها أَفكارَهُم، وأَنْفَقوا على تَخْليد كُتُبها أَعمارَهُمْ. فعظُمتِ الفائدةُ، وعَمَّتِ المصلحةُ، و[تَوافَرَت العائدة][٨]. وكلمَا بدأَتْ مَعارفُها تَتَنكَّر، أَو كادت مَعالمُها تَتَستَّر، أَو عَرَضَ لها ما يُشْبِهِ الفَتْرة[٩]، ردَّ اللَّهُ تَعالى [عليها][١٠] الكَرَّة، [فأَهبَّ][١١] رِيحَها ونَفَّقَ[١٢] سوقَها، بفَرْدٍ من أَفراد الدهرِ أَديبٍ، ذي صَدْرٍ رحيب، [وعزيمةٍ راتبةٍ][١٣]، ودراية صائبة، ونفس سامية، وهمَّةٍ عالية، يُحِبُّ الأَدبَ ويتعصَّبُ لِلْعَربية فيَجْمَعُ شَمْلَها، ويُكْرِمُ أَهلها، ويُحرِّكُ الخواطرَ الساكنةَ لإعادة رَوْنقِها، ويَسْتَثِيرُ المَحَاسنَ الكامنةَ في صدور المُتَحَلِّينَ بها، ويَسْتدعي التأْليفاتِ البارعةَ في تجديدِ ما عَفَا من رُسوم طَرائفها ولطائفها، مِثْلِ الأمير السيِّد الأَوحدِ، أبي

(١) أراد به ملك الوحي جبريل عليه السلام.
(٢) في بعض النسخ «لخيار».
(٣) نقص في بعض النسخ.
(٤) أي أتاح لها.
(٥) في بعض النسخ: «خواصه».
(٦) في بعض النسخ: «تركوا».
(٧) القماطر: جلود تحفظ بها الكتب.
(٨) العائدة: ما يعود على المشتغل بها من الأجر. وفي بعض النسخ «توفّرت».
(٩) الفترة: الانحلال والضعف.
(١٠) في بعض النسخ: «لها».
(١١) في بعض النسخ: «فأحبّ».
(١٢) أي جدّ في تحقيق الربح والكسب.
(١٣) في بعض النسخ: «وقريحة ثاقبة».

الفضل عُبَيْدِ الله بْنِ أَحمدَ الميكاليِّ[١] أدام اللَّهُ بهجَتهُ، وحَرَس مُهْجتَه. [وأَيْنَ، لا أَيْنَ][٢] مِثْلُهُ، وأَصْلُه أَصْلُه، وفضلُه فَضلُهُ: [الكامل]:

هيهات لاَ يَأْتي الزَّمانُ بِمِثْلِهِ إنَّ الزمانَ بمثْلِهِ لَبَخيلُ

وما عَسيْتُ أَنْ أَقولَ فيمَنْ جَمعَ أَطرافَ المَحَاسِنِ، ونَظَم أَشتاتَ الفضائلِ، وأَخذَ برقابِ المَحَامدِ، واسْتَولَى على غايات المناقب، فإنْ ذُكِرَ كَرَمُ المَنْصِبِ، وشَرَفُ المُنْتَسِب، كانتْ شَجرتُهُ الميكاليَّةُ في قرارةِ المَجْد والعَلاء،[٣] [و] أَصلُها ثابتٌ وفرعها في السماء[٤]. وإنْ وُصِفَ حُسْنُ الصورة الذي هو أَوَّلُ السَّعادةِ، وعنوانُ الخير وَسِمَةُ السيادة، كان في وَجْهه المقبولِ الصَّبيح، ما يَسْتنطقُ الأَفواهَ بالتَّسْبيح، لا سِيَّما إذا تَرَقْرَقَ ماءُ البِشْر في غُرَّته، وَتَفتَّقَ نُور الشَّرفِ من أَسِرَّته[٥]. وإنْ مُدِحَ حُسْنُ الخُلُق، فلَهُ أَخلاقٌ خُلِقنَ من الكَرَم المَحْضِ، وشيَمٌ تُشَامُ منها بارقةُ المَجْد. فلو مُزِجَ بها البحرُ لَعَذُبَ طعْمُهُ، ولو اسْتَعارَها الزمانُ لَمَا جارَ على حُرٍّ حُكْمُهُ. وإنْ أُجْرِيَ حديثُ بُعْدِ الهِمَّةِ، ضَرَبْنا به المَثَل، وتَمَثَّلْنا هِمَّتَهُ على هامَة زُحَل. وإن نُعِتَ الْفكرُ العَميقُ، والرأْس الزَّنِيق[٦]، فله منهما فَلَكٌ يُحِيط بَجَوامِع الصواب، ويَدور بكواكب السَّدَاد، ومرآةٌ تُرِيهِ وَدائعَ القلوب، وَتكْشِفُ لهُ عن أَسرار الغُيوب. وإنْ حُدِّثَ عن التواضُعِ، كان أَوْلَى بقولِ البحتري[٧] ممن قال فيه [من الوافر]:

دنَوْتَ تواضعاً وَعَلَوْتَ مَجْداً فشأْناكَ انخفاضٌ وارتفاعُ

---

(١) هو عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي خراساني وأمير من الكتّاب الشعراء صنّف له الثعالبي ثمار القلوب توفي سنة ٤٣٦ هـ.

(٢) في بعض النسخ: «أين».

(٣) زيادة في بعض النسخ.

(٤) إشارة إلى آية كريمة هي الآية ٢٤ من سورة إبراهيم.

(٥) الأسرة: جمع سرٍّ، وهي خطوط الوجه والجبهة.

(٦) الزنبق هو الرصين المحكم.

(٧) هو الوليد بن عبيد الطائي: شاعر كبير، يقال في شعره: سلاسل الذهب ولد بمنبج ورحل إلى العراق توفي سنة ٢٨٤ هـ.

كذاكَ الشمسُ تَبْعُد أن تُسامَى وَيدْنُو الضوءُ منها والشُّعاعُ

وأَمَّا سائرُ أَدواتِ الفَضْل، وآلاتِ الخير، وخصالِ المجد، فقد قَسَم اللَّهُ تعالى لهُ منها ما يُبَارِي الشمسَ ظُهوراً، ويجاري القَطْر وُفوراً؛ وأَما فنونُ الآدابِ فهو ابْنُ بَجْدَتها[١]، وأَخُو جُملتها، وأَبُو عُذرتها[٢]، ومالِكُ أَزِمَّتِهَا. وكأَنَّما يُوحَى إليهِ في الاستئثار بمُحَاسِنها، وَالتفرُّدِ ببدائعها. وللَّهِ هُوا إذا غَرَس الدرَّ في أَرض القرطاس، وطرَّز بالظلام ردَاءَ النهار، وأَلقتْ بحارُ خواطِرِهِ، جواهرَ البلاغة على أَنامِله، فهُناكَ الحسْنُ برُمَّته، والإحسانُ بكلِيَّته؛ وله ميراثُ الترسُّل بأَجْمَعه؛ إذْ قدِ انتهتْ إليه بَلاغةُ البلَغاء. فما تُظِلُّ الخَضْراءُ، ولا تُقِلُّ الغَبْرَاء في زَمننا هذا أَجرَى منهُ في مَيْدانها، وأَحسَن تصريفاً لِعِنانها. فلو كنتُ بالنُّجُوم مصدِّقاً، لَقُلْتُ: قد تأَنَّقَ عُطَارِدُ في تدبيره، وقَصَرَ عليهِ مُعظَم هِمَّته، ووقفَ في طاعته، عندَ أَقصى طاقته. ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَع سِرَّ النظْم، وسِحْر النثرِ، ورُقْيَة[٣] الدَّهْر، ويرَى صَوْبَ العقل[٤]، وَذَوْبَ الظَّرْفِ[٥]، وَنتيجةَ الفضلِ، فَلْيَسْتَنْشِدْ ما أَسْفَرَ عنهُ طبعُ مَجْدِه، وأَثمرَهُ عالي فِكره، مِنْ مُلَحٍ تمتزجُ بأَجزَاءِ النفوسِ لِنفَاستهَا، وتَشْرَبُ القلوبُ لسلاستها [من المتقارب]:

قوافٍ إذا ما رواها المَشُو قُ هزَّت لها الغانياتُ القُدودا
كَسَوْنَ عُبَيْداً ثيابَ الْعَبِيدِ وَأَضْحى لَبيدٌ لَدَيها بَليدا[٦]

وأَيْم الله! ما مِنْ يومٍ أَسْعَفَني فيهِ الزمانُ بمواجهة وَجْهِهِ، وأَسْعدَني بالاقتباسِ من نورِهِ والاغْتراف مِن بَحْره، فشاهَدْتُ ثمارَ المَجْدِ وَالسُّؤْددِ تُنْثرُ من شَمأْله، وَرَأَيْتُ فضائلَ أَفرادِ الدهر عِيالاً على فضائِلِهِ، وقرَأْتُ نُسْخَةَ الكرَم والفضلِ مِنْ أَلحاظِهِ،

(١) ابن بجدتها: أي العالم بالآداب والمتقن لها.
(٢) أبو عذرتها: أي سيد التصرف بها.
(٣) الرقية هي التعويذة التي يرقى بها المريض.
(٤) الصوب: هو الغيث النافع.
(٥) الظرف: الكياسة والفطانة.
(٦) يريد أن عبيد بن الأبرص ولبيد بن ربيعة الشاعرين المعربين المعروفين بالإجادة.

وانْتَهبْتُ فرَائِدَ الفوَائِد من أَلفاظِهِ، إلاَّ تذكرتُ ما أَنْشَدَنيهِ، أَدَامَ اللَّهُ تأْييدَه، **لعليٍّ بن الرومي** [من البسيط]:

لـولا عـجـائـبُ صـنْـعِ الله مـا نَـبَـتـتْ تِـلـكَ الـفـضـائـلُ فـي لَـجْـمٍ ولا عَـصـبِ

وأَنشدتُ، فيما بيني وبين نفسي، وردَّدتُ قول **الطائي**[١] [من الوافر]:

فـلَـوْ صـوَّرْتَ نَـفْـسَـكَ لـم تَـزِدْهـا عـلـى مـا فـيـكَ مـنْ كَـرَمِ الـطِّـبـاعِ

وَثَلَّثْتُ بقول **كُشَاجم**[٢] [من الكامل]:

مـا كـان أَحـوَجَ ذَا الـكـمـالِ إلـى عَـيْـبٍ يُـوَقِّـيـهِ مِـنَ الـعَـيْـنِ

وَرَبَّعتُ بقولِ **المتنبي**[٣] [من الوافر]:

فـإنْ تَـفُـقِ الأنـامَ وأَنـتَ مـنـهـمْ فـإنَّ الـمِـسْـكَ بـعـضُ دَمِ الـغـزَالِ[٤]

ثم استعرْتُ فيهِ لسان أَبي **إسحاق الصابي**[٥] حيث قال **للصاحب**[٦]، ورَّثَهُ اللَّهُ أَعمارَهُما. كما وَرَّثَهُ في البلاغة أَقدارَهما [من السريع]:

الـلَّـهُ حَـسْـبـي فـيـكَ مِـنْ كـلِّ مـا يُـعَـوِّذُ الـعـبـدُ بـه الـمَـوْلـىٰ
وَلا تَـزَلْ تَـرْفُـلُ فـي نِـعْـمَـةٍ أَنـتَ بـهـا مِـنْ غِـيـرِكَ الأَولـىٰ

---

(١) هو حبيب بن أوس، أبو تمام الشاعر الأديب أحد أمراء البيان ولد في حران ورحل إلى مصر له مصنفات كثيرة منها «فحول الشعراء بالحماسة» توفي سنة ٢٣١ هـ.

(٢) هو أبو نصر بن أبي فتح محمود بن الحسين، شاعر من الشام، من أصل فارسي ولقب بكشاجم لعلوم كان يتقنها توفي سنة ٣٦٠ هـ.

(٣) المتنبي: أحمد بن الحسين أبو الطيب، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر العرب ولد بالكوفة وقال الشعر في صباه قتل على يد فاتك بن أبي جهل سنة ٣٥٤ هـ.

(٤) هذا البيت من قصيدة يرثي بها سيف الدولة وأولها:

نـعـدّ الـمـشـرفـيـة والـعـوالـي وتـقـتـلـنـا الـمـنـون بـلا قـتـال

(٥) هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الصابىء، مات سنة ٣٨٤ هـ.

(٦) هو إسماعيل بن عباد الملقّب بالصاحب لأنه صاحب ابن بويه الديلمي، له «الكشف عن مساوىء شعر المتنبي» توفي سنة ٣٨٥ هـ.

وما أَنْسَ لا [أَنْسَىٰ][١] أيامي عندَهُ بفَيروز آباد[٢]، إحدى قُرَاهُ بِرُستاق جُوين[٣]، سقاها اللَّهُ ما يَحْكي أَخلاَق صاحِبِها مِنْ سَيْل القَطْر؛ فإنها كانت بطلْعتهِ البدرية، وعِشْرتهِ العِطْرية، وآدابه العُلْوية، وألفاظه اللؤلؤية، مع جلائل أَنعَامِهِ المذكرة، وذقائقِ إكرامِه المشكورَة، وفوائدِ مجالسهِ المَعْمورة، ومَحاسِنِ أَقوَاله وَأَفعاله التي يَعْيَا بها الواصفون، أَنموذَجَاتِ[٤] مِن الجَنَّةِ التي وُعدَ المُتَّقون. فإذا تذكرتُها في تلك المرَابع التي هي مرَاتِعُ النوَاظر، والمَصَانعِ التي هي مطالعُ العيش الناضر، والبَسَاتينِ التي إذا أخذَتْ بدائعَ زخارفها، ونَشَرَتْ طرائفَ مطارفها[٥]، طُوِيَ لها الديباجُ[٦] الخُسرُوَاني، وَنُفِيَ معها الوَشيُ الصنعاني[٧]؛ فلم تُشَبَّه إلاَّ بِشِيَمِه، وآثَار قلمِهِ، وَأَزهار كَلِمِه، تذكرتُ [سِحْراً][٨] [وَسيماً][٩]، وخيراً عميماً، وارتيَاحاً مقيماً، ورَوْحاً وَرَيحاناً[١٠] ونعيماً. وكثيراً ما أَحكي للإخْوَان والأصدقاء، أني استغرقْتُ أربعةَ أَشْهر هناك بِحَضْرته، وَتوَفَّرْتُ على خِدْمَته، ولازَمتُ في أكثر أَوقات الليل والنهار، عاليَ مَجْلِسِه، وَتعطَّرْتُ عندَ رُكُوبه بغُبَار مَوْكبه[١١]؛ فباللَّهِ أُقسمُ يميناً قد كنتُ عنها غَنيّاً، ومَا كنتُ أُولِيها، لو خِفْتُ حِنْثاً[١٢] فيها، أَني ما أَنكرتُ طَرفاً مِن أَخلاقه، ولم أشاهد إلا مجداً وَشرَفاً من أَحوَاله. وَمَا رأيتهُ اغْتابَ غائِباً، أو سَبَّ حاضراً، أو حَرَم سائلاً، أَوْ خيَّب

(١) في بعض النسخ: «أنسيَ».
(٢) فيروزآباد: بلدة فارسية تقع قرب سيزار يعني اسمها أتمّ الدولة.
(٣) رستاق «لوحدها اسم لمدينة بفارس من نواحي كرمان» وجوين كورة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور.
(٤) أي أمثلة، وهي فارسية معربة.
(٥) المطارف: جمع مطرف وهو ثوب من خر ازدان بالأعلام.
(٦) الديباج الخسرواني: هو الحرير المنسوب إلى خسرو في فارس.
(٧) الصنعاني: هو المنسوب إلى صنعاء اليمن.
(٨) في بعض النسخ: «سَحَراً».
(٩) في بعض النسخ: «ونسيماً».
(١٠) الروح: الريح الطيبة والريحان نبات طيب يوضع على القبور.
(١١) كناية عن السرور الذي يحدثه فيه مرور موكبه في رحلات الصيد أو السفر.
(١٢) الحنث: الإخلاف بالقسم.

آملاً، أَو أَطَاعَ سلطانَ الغَضَب وَالحرَد[١]، أَو تَصَلَّى بنار الضَّجر في السَّفر، أَو بَطَشَ بَطشَ المُتَجَبّر. وما وَجَدْتُ المآثر إلاَّ مَا يَتَعاطاه، وَلاَ المَآثم إلاَّ مَا يَتَخطَّاه؛ فَعَوّذتهُ باللَّهِ، وكذلك الآن، مِنْ كلِّ طرْفٍ عَائِن[٢]، وَصدْرٍ خائِنٍ. هذَا وَلَوْ أَعارَتْني خُطَباءُ إِياد[٣] أَلْسِنَتَها وكتَّابُ العرَاقِ أَيْديَهَا، في وَصْف أَياديهِ التي اتَّصلتْ عِندي كاتِّصالِ السُّعود[٤]، وَانتَظَمَتْ لدَيَّ في حالَتَيْ حضُورِي وَغيْبتي، كانْتِظام العُقودِ، فقُلتُ في ذِكرِها طالِباً أَمَدَ الإِسْهاب، وَكتبتُ في شكرِها مادّاً أَطْنَابَ الإِطنَابِ، لَمَا كُنتُ بَعْدَ الاجْتِهاد، إلاَّ مائِلاً في جانِبِ القُصُور، متأَخِّراً عن الغَرَض المقصُود؛ فكيفَ وَأَنا قاصِرُ سَعْي البلاغةِ، قصير بَاعِ الكتَابَة؟ وَعلَى ذلِكَ فقد صَدِئَ فهمي مَعَ بُعدٍ كان عنْ حَضرته، وَتَكَدَّرَ مَاءُ خَاطِري لِتطاول العَهْدِ بِخِدْمَته، وَتَكَسَّرَ في صَدْرِي مَا عَجزَ عَنِ الإفصاح بهِ لساني. فكأَنَّ **أَبا القاسم الزعفرَاني**[٥]، أَحدَ شُعرَاء العصر، الذينَ أَوْرَدْتُ مُلَحهم في كتاب **يتيمة الدهر**[٦]، قد عبر عن قلبي بقوله [من الخفيف]:

لي لسانٌ كأَنهُ لي مُعادي ... ليس يُنْبي عن كُنْهِ ما في فؤَادي
حكَمَ اللَّهُ لي عليهِ فلَوْ أَنْ ... صَفَ قلبي عرَفْتَ قَدْرَ وِدَادِي

فإلى مَنْ جَمَّلَ الزمانَ بمَجْدِهِ، وشرَّفَ أَهْلَ الآدَاب بمُناسَبَةِ طبعه، ونَظَر لذوي الفَضْلِ بامتدَادِ ظِلِّهِ، وَدَاوَى أَحوَالَهُم بِطِبِّ كَرَمِهِ، أَرْغَبُ في أَنْ يَجعلَ أَيّامَه الْمَسْعُودةَ أَعْظَمَ الأَيامِ السالِفةِ يُمْناً عليه، وَدُونَ الأَيامِ المسْتَقْبَلَة فيمَا يُحِبُّ وَيُحِبُّ أَوْلِياؤُهُ لهُ، وَأَن يُدِيمَ إِمتاعَهُ بظلِّ النِّعمَة، وَلباسِ العافية، وَفِرَاشِ السَّلاَمة، وَمرْكَبِ الغبطة[٧]. وَيُطيل بقاءَه مَصوناً في نَفْسِهِ وَأَعِزَّته، متمكِّناً مما يَقْتضيه عالِي هِمَّته، وَأَنْ

---

(١) الحرد: الغضب.
(٢) عائن: أي يصيب بالعين.
(٣) إياد: قبيلة عربية تنسب إلى معدّ، وقد اشتهرت بفصاحة خطبائها.
(٤) أي أمدّ الإسهاب، وقد أراد الإطالة المسهبة في الكلام.
(٥) هو عمر بن إبراهيم، شيخ من شيوخ الشعر في زمانه، وقد نادم الصاحب بن عباد وشعره مؤثر في النفس، وقد ذكره الثعالبي في اليتيمة، ولم تحدد سنة وفاته.
(٦) وذلك في ص٣٥٦.
(٧) الغبطة: السعادة والسرور.

يَجْمعَ لهُ المدَّ في العُمر إلى النَّفاذِ في الأمر، وَالفوْزَ بالمَثُوبَة مِنَ الخالِق، وَالشكرَ مِنَ المخلوقين، وَيجمعَ آمالَهُ في الدنيا والدين. وَأَعُودُ، أَدَامَ اللَّهُ تأْييدَ الأَمير السيِّدِ الأَوْحدِ، لِمَا افتتحتُ لهُ رسالتي هَذِهِ، فأَقُول: إنِّي ما عَدَلْتُ بمؤَلَّفاتي إلى هذِهِ الغاية، عن اسمه ورَسْمه[١]، إخلالاً بما يَلْزمني مِنْ حقِّ سُؤدَدِهِ، بل إجلالاً لهُ عما لا أَرضاه للمرور بسمعه ولحظه، وَتَحامِياً، [لِعَرْض][٢] بضاعتي المُزْجَاةِ[٣] على قوَّة نَقْدِه، وذَهَاباً بنفسي عن أَنْ أُهْدِيَ للشمس ضوءاً، أَو أَنْ أَزِيدَ في القَمرِ نوراً؛ فأكُون كجَالبِ المِسْكِ إلى أَرْضِ التركِ[٤]، أَو العُودِ، إلى بَلَادِ الهنود، أو العنبرِ إلى البَحْر الأَخْضَر. وقد كانتْ تَجري في مجلسه، آنسهُ الله، نُكَتٌ[٥] مِنْ أَقاويلِ أَئمَّةِ الأدَبِ في أَسرارِ اللُّغةِ وَجَوَامِعِها، وَلَطائِفها وخَصَائِصها، مما لم يَتَنَبَّهُوا لِجَمْع شَمْله، ولم يتوصلوا إلى نظم عِقْده؛ وَإنما اتَّجَهَتْ لهم في أَثناءِ التأْليفاتِ، وتَضَاعيفِ التصنيفات، لُمعٌ يسيرةٌ كالتوقيعات، وَفِقرٌ خفيفةٌ كالإشارات؛ فَيُلَوِّحُ، لي أَدامَ اللَّهُ دَولَته، بالبحث عن أَمثالِها، وتحصيل أَخَواتها، وَتَذْييل ما يَتَّصِلُ بها، وَينخَرِطُ في سِلْكها، وكَسْر دَفترٍ جامعٍ عليها، وإعطائها من النِّيقَةِ[٦] حقَّها. وَأَنا أَلُوذُ بأَكْنَافِ المُحَاجَزَةِ[٧]، وأَحُومُ حَوْلَ المدافَعَة، وأَرْعَى رَوْضَ المُماطَلَة، لَأْ تهاوُناً بأَمره الذي أَراهُ كالمَكْتُوبات، ولا أُمَيِّزهُ عن المفروضات؛ ولكنْ تَفَادِياً من قُصُور سهمي عَنْ هَدف إرادتِهِ، وانْحِرافاً عن الثِّقَة بنفسي في عمل ما يَصْلُحُ لخدمته، إلى أَنِ اتَّفَقَتْ لِي، في بعض الأيام التي هي أَعيادُ دَهري، وأَعيانُ عُمْري، مُواكَبَةُ القَمَرين[٨]، بِمُسايَرة رِكَابِهِ، وَمُوَاصَلَةُ السَّعْدَينِ، بِصِلَةِ جَنابه، في مُتَوجهِهِ إلى فَيْرُوزآباد، إحْدى

(١) ريحه أي شكله، وهو يريد أنه لم يصرح في كتبه المؤلفة بإهدائها إليه ولا يحملها برسم خزانته.

(٢) في بعض النسخ: «بعرضِ».

(٣) المزجاة: الرديئة التي لم يتم صلاحها.

(٤) مثل يراد به أن المرء يأخذ بضاعة يتاجر بها في مكان صدورها منه.

(٥) النكت: هي الأفكار الطريفة.

(٦) أي إذا تجوّد وبالغ.

(٧) المحاجزة: هي الامتناع عن المخاصمة.

(٨) مواكبة القرين: أي ملازمتهما.

قُراه من الشامات[١]، ومنها إلى خذاي داذ، عَمَّرهُما اللَّهُ بَدوَام عمرِهِ فلما [من الطويل]:

أَخذنا بأطرافِ الأحاديث بَيننَا وسَالتْ بأَعْناقِ الجيادِ الأَباطِحُ[٢]

وعُدْنا لِلْعادةِ عِنْدَ الالْتقاءِ فِي تَجَاذُبِ أَهدابِ الآداب، وَفَتْقِ نَوافجِ[٣] الأخبارِ والأشعار، أَفْضَتْ بنا شجُونُ الحدِيث إلى هذا الكِتابِ المذكور، وكَونِهِ شرِيفَ المَوْضوع، أَنِيقَ المَسْمُوع، إذا خَرَجَ من العَدَم إلى الوجود. فأَحَلْتُ في تأْليفه على بَعْض حاشيَتهِ مِنْ أَهْل الأدب. إذا أَعارَه، أَدام اللَّهُ قُدرتَهُ، لَمْحةً من هِدَايته، وأَمدَّهُ بشُعْبةٍ مِنْ عِنَايته. فقال لي، صدَّق اللَّهُ قولَهُ، ولا أَعدَمَ الدنيا جَمالَه وَطَوْلَه، كما أَذاقَ العِدا بأْسَهُ وصَوْلَه: إنكَ إنْ أَخذتَ فيه أَجَدْتَ وَأَحْسَنْتَ، وليس له إلاَّ أَنت! فقلتُ لهُ: سَمْعاً سَمْعاً، ولم أَسْتَجِزْ لأَمره دَفْعاً، بل تَلَقَّيتُهُ باليَدَيْن، ووضعْتهُ على الرأس والعين. وعاد، أَدامَ اللَّهُ تمكينهُ، إلى البلدةِ عَودَ الحُلِيِّ إلى العاطل[٤]، والغَيْثِ إلى الرَّوْض المَاحل، فأَقامَ لي في التأليف مَعالِمَ أَقِفُ عندَها، وأَقْفُو حَدَّها؛ وَأَهَابَ بي إلى ما اتَّخَذْتُهُ قِبلة أُصَلّي إليها، وَقاعِدَةً أَبني عليها، من التمثيل والتنزيل، وَالتَّفْصيل والتَّرتيب، والتَّقْسيم والتَّقْرِيب؛ وكنتُ إذْ ذاك مُقيمَ الجِسْم، شاخصَ العَزْم؛ فاستأْذَنتُهُ في الخروج إلى ضَيْعةٍ لي مُتناهِيَةِ الاختلال بعيدَةِ المَزار؛ فأَجْمعُ فيهَا بينَ الخَلْوَةِ بالتأْليف، وَبينَ الاسْتِعْمَار[٥]، فأَذِن لي، أَدَام اللَّهُ غِبْطَتَه، على كُرْهٍ منهُ لفُرقتي، وأَمَرَ، أَعْلى اللَّهُ أَمرَه، بِتَزْوِيدِي مِنْ ثِمار خَزائنِ كُتُبه، عَمَّرَها اللَّهُ بِطُول عُمره، مَا أَسْتَظْهِرُ بهِ على مَا أَنا بصَدَدِه. فكان كَالدليل يُعين السَّفْرَ بالزَّاد، وَالطَّبِيبِ يُتْحِفُ المَريضَ بالدَّوَاء وَالغِذَاء. وَحين مَضيتُ لِطِيَّتي[٦]، وَأَلْمَمْتُ بمقصدِي، وجدتُ

(١) الشامات: ج شامة، وهي قرية من سيرجان.
(٢) بيت مشهور حفل النقاد والدارسين ونُسِب لكثير من الشعراء.
(٣) النوافج: جمع نافجة، وهو وعاء المسك.
(٤) العاطل: هو العنق الذي لا حُليّ فيه.
(٥) الاستعمار: أي إصلاح الضيعة التي فيها خراب.
(٦) الطيّة: هي الغاية والحاجة.

بَركةَ حُسْنِ رأْيِهِ، وَيُمْنَ اعتزَائي[١] إلى خِدْمته، قد سَبقَاني إليهِ وَانتظرَاني به، وَحَصَلتُ، مع البعد عن حضرته في مَطْرَحٍ مِنْ شُعَاعِ سعادته: يُبَشّر بالصُّنْع الجميل، وَيؤْذِنُ بالنُّجح القريب. وَتُرِكْتُ وَالأَدَبَ وَالكُتُب، أَنْتَقِي منها وَأَنْتخِب، وَأُفَصِّلُ وَأُبَوِّب، وَأُقَسِّمُ وَأُرَتِّب، وَأَنْتَجِع[٢] من الأَئمة مثْلَ **الخليلِ**[٣]، **والأَصمعي**[٤]، **وأَبي عمرو الشَّيبَانيِّ**[٥]، **والكِسائي**[٦]، **والفرَّاء**[٧]، **وأَبي زيد**[٨]، **وأَبي عُبيدةَ**[٩]، **وأبي عُبَيْد**[١٠]، **وابن الأعرابي**[١١]، **والنضْر بن شُمَيْل**[١٢]، **وَابَوي العبَّاس**[١٣]، **وابنِ دُريد**[١٤]، **ونِفْطويه**[١٥]، **وابن خالَوَيْه**[١٦]، **وَالخارَزَنْجي**[١٧]، **وَالأَزْهرِي**، وَمَنْ

---

(١) الاعتزاء هو الانتساب.
(٢) أنتجع: أي أطلب.
(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، عالم لغوي عروضيّ بعدي وأستاذ سيبويه عاش في البصرة ومات فيها سنة ١٧٠ هـ. وله مؤلفات كثيرة منها العين.
(٤) هو عبد الملك بن قريب، عالم باللغة والأدب وراوية مشهور توفي سنة ٢١٦ هـ.
(٥) هو إسحاق بن مرار الشيباني، راوية وجامع للشعر في عدد كبير من القبائل توفي سنة ٢٠٦ هـ في بغداد.
(٦) علي بن حمزة الكوفي: ألف في اللغة والأدب وأدّب الرشيد وابنه الأمين توفي سنة ١٨٨.
(٧) هو يحيى بن زياد، وأعلم أهل الكوفة باللغة والنحو وأيام العرب توفي وهو في طريقه إلى مكة سنة ٢٠٧ هـ.
(٨) هو سعيد بن أوس، وعالم باللغة عاش بالبصرة وتوفي بها عام ٢١٥ هـ وصاحب كتاب النوادر في اللغة.
(٩) هو معمر بن المثنى: عالم باللغة والأدب ولد بالبصرة وتوفي فيها سنة ٢٠٩ هـ.
(١٠) هو القاسم بن سلام الهروي، عالم بالحديث والفقه ولد بهراة وتوفي بمكة عام ٢٤٤ هـ.
(١١) هو محمد بن زياد الكوفي النشأة، عالم في اللغة والخيل والأنساب توفي عام ٢٣١ هـ.
(١٢) هو النضر بن شميل المروزي، عالم باللغة وأيام العرب والحديث توفي في مرو عام ٢٠٣ هـ.
(١٣) هو محمد بن يزيد المبرد إمام اللغة في البصرة صاحب الكامل والمذكر والمؤنث مات ببغداد سنة ٢٩٦ هـ.
(١٤) هو محمد بن الحسن وأشهر علماء زمانه في اللغة والأدب والشعر وصاحب الاشتقاق وجمهرة اللغة توفي سنة ٣٢١ هـ.
(١٥) هو إبراهيم بن محمد واسطي بغدادي وقد أيد مذهب سيبويه وتوفى سنة ٣٢٣ هـ.
(١٦) هو الحسين بن أحمد عاش في زمان سيف الدولة وجالس المتنبي توفي بحلب سنة ٣٧٠ هـ.
(١٧) هو أحمد بن محمد المنسوب إلى خارزنج بنيسابور وهو عالم باللغة والأدب وقد توفي سنة ٣٤٨ هـ.

سِواهم من ظُرَفاءِ الأُدباء، الذين جَمعوا فَصاحةَ العَرب البُلغاء، إلى إتْقان العُلماء، ووُعُورَةَ اللُّغة إلى سُهُولةِ البلاغة، **كالصاحب أبي القاسم**[١]، **وحمزَةَ بن الحَسَن الأَصبهَاني**[٢]. **وَأبي الفتح المرَاغي**[٣] **وَأبي بكر الخُوَارَزمي**[٤]، والقاضي أبي الحَسَنِ **عليّ بن عبد العزيزِ الجُرْجاني**[٥]، وَأبي الحسين **أَحمد بن فارس** بن زكريا القَزْويني[٦]، [وأجتلي][٧] من أَنوَارهم، وَأَجتني من ثِمَارهم، وَأَقتفي آثارَ قومٍ قد أَقْفَرَتْ منهمُ البِقاعُ، وَأَجْمَعُ في التأْليف بين أبكار الأَبوابِ وَالأَوضاعِ، وَعُونِ[٨] اللغات وَالأَلفاظ كما قال **أبو تمام** [من الكامل]:

أَما المعاني فهْيَ أبكارٌ إذا افْـ تُضَّتْ ولكنَّ القوَافيَ عُونُ

ثم اعترَضَتْني أَسْبابٌ، وَعَرَضتْ لي أَحوَالٌ أَدَّتْ إلى إطالة عِنَان الغَيبةِ عن تلك الحَضْرة المَسْعودة، والمُقَام تَحْتَ جَنَاحِ الضرورة مِنَ الضَّيعة المذكورة. بِمَدْرجةٍ مِنَ النوائب تَصُكُّني[٩] فيها سفاتِجُ[١٠] الأَحْزان، وَتُرسِلُ عليَّ شُواظاً من نار القُفْص[١١] الذين طَغَوْا في البلاد فأَكثروا فيها الفساد[١٢] [من البسيط]:

---

(١) هو محمد بن أحمد الأزهري، وأحد أدباء هراة ولد بها ومات سنة ٣٧٠ هـ وهو صاحب معجم تهذيب اللغة.

(٢) علي بن إسحاق الزاهي، شاعر وصّاف، وأكثر شعره في أهل البيت، وقد مدح سيف الدولة، وقد عاش في بغداد وتوفي هناك عام ٣٥٢ هـ.

(٣) هو حمزة بن الحسن، عاش في أصبهان وأرّخ لها توفي سنة ٣٦١ هـ.

(٤) هو محمد بن جعفر، عالم باللغة والأدب والأخبار، عاش في بغداد وتوفي سنة ٣٧٦ هـ.

(٥) هو محمد بن العباس، عاش في خوارزم ومات بنيسابور سنة ٣٨٣ هـ وله آثار في الشعر واللغة والأدب والأنساب.

(٦) هو علي بن عبد العزيز: عالم باللغة والأدب والبلاغة وناقد شهير ولد في جرجان وله كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه وتوفي في نيسابور سنة ٣٩٢ هـ.

(٧) هو أحمد بن فارس القزويني، عالم باللغة والأدب، له في اللغة المقاييس والمجمل والصاحبي وتوفي سنة ٣٩٥ هـ.

(٨) العون: هي المرأة ألقى لها زوجها وهي عكس البكر.

(٩) أي تضربني ضرباً شديداً.

(١٠) أي كتب صاحب المال إلى عماله بقصد إعطاء المال للآخرين.

(١١) هم جيل من الناس متلصّصو من نواحي كرمان وأصحاب مراس في الحرب.

(١٢) اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر.

[وَلاَ ثَبَات على سَمّ الأَسَاوِدِ لي وَلاَ قَرَار على زَأْرٍ مِنَ الأَسدِ][١]

إلاَّ أنَّ ذِكْر الأَميرِ السيِّدِ الأَوْحَد ـ أَدامَ اللَّهُ تأييدَهُ ـ كان هِجِّيرَايَ في تلك الأحوالِ، والاستظهَارَ بتَمَيُّزِ الاعْتِزَاء إلى خدمته، شعاري في تلك الأهوال. فلم تَبْسُط النَّكبةُ إليَّ يدَها، إلاَّ وقد قَبَضَتْها عني سعادتُه، ولم تَمْتدَّ بي أَيامُ المِحْنة إلاَّ وقد قَصَّرَتْها عني بَرَكتُه. وكانت كتبُهُ الكريمةُ الواردةُ عليَّ تَكتُبُ لي أماناً مِنْ دَهرِي، وَتُهدِي [الهُدُوَّ][٢] إلى قلبي، وإن كانت تَسحَرُ عقلي، وتُثْقِل بالمِنَن ظَهْري؛ إلى أن وافَقَ ما تفضَّل اللَّهُ به مِنْ كَشْف الغُمَّةِ، وَحلِّ العُقدة، وتَيْسِيرِ المَسير، ورَفْعِ عَوَائقِ التَعسير، اشتِمَالَ النظام على مَا دَبَّرْتُهُ من تأْليفِ الكتاب باسمه، وَمُشَارَفَةَ الفراغِ من تَشْيِيد مَا أُسَّسْتُهُ بِرَسْمِه؛ رَاجياً أن يُعِيرَهُ نَظَر التهذيب، ويأْمر بإجَالة قلم الإصلاح فيه، وإلحاق ما يَرْقَعُ خَرْقَه، ويجْبُرُ كَسْرَه بحوَاشيه. ولما عاوَدْتُ [رُوَاقَ][٣] العزِّ واليُمْن من حَضْرته، وَرَاجعْتُ رُوحَ الحياة وَنسيمَ العيش بخدمتِه، وَجاوَرْتُ بَحْرَ الشرفِ وَالأَدب مِن عالي مجلسِه ـ أَدامَ الله [أَنْسَ][٤] الفضل به ـ فَتحَ لي إقبالُهُ رِتَاجَ[٥] التَّخَيُّر، وَأَزْهَرَ لي قُربُهُ سِرَاجَ التَّبَصُّر، في اسْتِتْمَام الكتاب، وَتقرِير الأَبوَاب. فبلغتُ بها الثلاثين على مَهَلٍ وَرَوِيَّةٍ، وضَمَّنْتُهَا منَ الفصول ما يُنَاهِزُ ستمائة.

وقد اخْترتُ لِترجَمَته، وما أَجعلُهُ عُنوانَ معرفته، ما اخْتارَهُ، أَدام الله توفيقَهُ (من فِقْه اللُّغة) وشَفَعْتُهُ (بِسِرِّ العربيَّة) ليكونَ اسماً يُوافقُ مُسمَّاة، ولفظاً يُطابِقُ مَعناه. وعَهْدي به ـ أَدام الله تأْييدَه ـ يَسْتَحْسنُ ما أَنشدتُه لِصَديقه **أَبي الفتح** علي بن محمَّد **البُستي**[٦] ورَّثهُ اللَّهُ عمرَه، [من البسيط]:

---

(١) في بعض النسخ: الشطر الثاني فقط.
(٢) في بعض النسخ: «الهدوء».
(٣) في بعض النسخ: «رِواق» بالكسر أيضاً.
(٤) في بعض النسخ: «أسّ».
(٥) الرتاج هو إغلاق الباب.
(٦) هو علي بن محمد بن الحسين البستي المنسوب إلى بست القريبة من سجستان، وهو كاتب وشاعر وله ديوان شعر مات سنة ٤٠٠ هـ.

لا تُـنـكِـرَنَّ إذَا أَهـدَيـتُ نـحـوَكَ مِـنْ عـلـومِـكَ الـغُـرِّ أَو آدابِـكَ الـثُّـنَّـفَـا
فَـقَـيِّـمُ الـبـاغِ قـد يُـهـدِي لِـمَـالـكـهِ بِـرَسْـمِ خـدْمـتـهِ مـن بَـاغِـهِ الـتُّـحَـفَـا

وهكذا أَقول له، بعد تقديم قول أَبي الحَسَنِ بن طَبَاطَبَا[1] فهو الأصلُ في معنى ما سقتُ كلاَمي إِلَيْه [من الكامل]:

لا تُـنـكـرَنْ إِهـدَاءَنـا لـكَ مَـنْـطِـقـاً مـنـكَ اسْـتَـفَـدْنـا حُـسـنَـهُ وَنِـظَـامَـهُ
فـالـلَّـهُ عـزَّ وجـلَّ يـشـكـرُ فِـعـلَ مَـنْ يَـتـلـو عـلـيـهِ وَحْـيَـهُ وكـلاَمَـهُ

والله الموفق للصواب. وهذا حينُ سياقةِ الأبواب.

(١) هو محمد بن أحمد الحسني العلوي، شاعر من الدرجة الرفيعة، وأكثره في الغزل والآداب وله كتاب عيار الشعر، توفي بأصبهان عام ٣٦٢ هـ.

obeikandl.com